الفصل التاسع

مستقبل العلاج الطبيعى والطب البديل فى الألفية الثالثة

لقد بدأت المؤسسة الطبية بجميع كياناتها المختلفة ـ وعلى مستوى العالم أجمع ـ وضع أولوية تطوير علوم العلاج الطبيعى والطب البديل وتطبيقاتها العملية فى البرامج العلاجية كإحدى الأولويات البحثية والإكلينيكية الهامة للمنظومة الطبية الحديثة خلال السنوات العشر الأخيرة مدفوعة بعدة عوامل أهمها :

١ - الارتفاع الرهيب والسريع لتكلفة برامج الرعاية الصحية، التشخيصية منها والعلاجية، وعدم قدرة الكثير من المرضى وبرامجهم التأمينية على مواكبة هذا الارتفاع السريع للتكاليف العلاجية مما ينتج عنه عدم قدرة الكثير من المرضى تلقيهم للعلاج المناسب بسبب نقص الميزانيات الصحية المخصصة لهم، وعدم قدرتهم الشخصية على تحمل تكاليف العلاج.

٢ ـ التحذيرات الكثيرة التى ظهرت فى الفترة الأخيرة من خلال نتائج الكثير من الدراسات العلمية التى أجريت فى الكثير من الأكاديميات العلمية المعروفة، بالسمعة العالية فى عملها البحثى، وفى مناطق مختلفة من العالم، والتى أوضحت الكثير من المضاعفات والآثار الجانبية الضارة المرتبطة بالكثير من الأنظمة العلاجية الدوائية والجراحية، والمستخدمة فى برامج الرعاية الصحية الحالية، والذى أدى لرفض الكثير من المرضى لبعض القرارات العلاجية المتخذة من أطبائهم لعلاج أمراضهم ببعض الوسائل الدوائية أو الجراحية لعدم اقتناعهم الشخصى بها، ولزيادة عامل الوعى الصحى للمرضى على مستوى العالم فى العشر سنوات الأخيرة.

لقد أدرجت الكثير من المراكز العلاجية المرموقة برامج العلاج الطبيعى والطب البديل كوسائل أساسية فى خطتها العلاجية، وذلك من خلال أقسام علاجية متخصصة يشرف عليها فريق من الاستشاريين والأخصائيين فى هذه المجالات، وعلى مستوى عال من التخصص والدراسة. إن هؤلاء المتخصصين قد وصل معظمهم إلى أعلى الدرجات العلميه مثل الدكتوراه والماچستير، فى علوم العلاج الطبيعى والطب البديل، والتى خصصت لها الكثير من الأكاديميات والجامعات برامج دراسية وكليات متخصصة لتخريج هؤلاء الأخصائيين، واتجهت معظم الجهات الصحية الحكومية فى الكثير من دول العالم للاعتراف بهؤلاء المتخصصين وإعطائهم الصفه المهْنية المتخصصة فى العلاج الطبيعى والطب البديل، بل وأصبحت تضع الكوادر واللوائح المنظمة لممارسة هذا التخصص، وإصدار التراخيص اللازمة لعملهم، وقامت بضم الكثير من هؤلاء الاستشاريين والمتخصصين إلى الكوادر الطبية المتخصصة والمسجلة فى معظم المستشفيات والمراكز العلاجية.

لقد أصبح الشغل الشاغل للمتخصصين فى علوم العلاج الطبيعى فى المرحلة الحالية هو تطوير واستكمال الدراسات الخاصة، وذلك لوضع أسس علاجات جديدة للكثير من الأمراض بوسائل طبيعية جديدة أقل تكلفة وأكثر كفاءة، وأقل ضررا فى علاج أمراض الإنسان المستعصية، وذلك من خلال العمل البحثى الدءوب فى معامل الأبحاث الطبية الحديثة فى مختلف جامعات العالم. وعلى سبيل الذكر فإن كم العمل البحثى الذى نشر فى المجلات العلمية المتخصصة فى خمس السنوات الأخيرة عن وسائل العلاج الطبيعى والطب البديل قد تعدى مجموع الأبحاث التى أجريت فى نفس المجال خلال العشرين عاما السابقة، مما يعطى مؤشراً مهمًا لتطور هذا العلم الطبى الحديث، وأن التطور فى علوم العلاج الطبيعى سوف يستمر لعقود زمنية طويلة، مما يساهم فى إظهار الطفرة العلاجية المطلوبة، والتى يحتاجها معظم المرضى لمكافحة مشاكلهم الصحية والتى أصبحت فى كثير من الأحيان بلا علاج أو شفاء كامل. هذه الطفرة التى يتوقع الكثير من الباحثين فى الحقل الطبى إن تحدث فسوف تساهم فى إعادة تشكيل مبادئ الطب الحديث، وأساسيات ومناهج بحث جميع أنواع العلاجات الحديثة، وإعادة تنقيتها وتشكيلها فى الصورة المثلى.

إن المساعدة فى اكتشاف علاجات طبيعية جديدة لعلاج بعض الأمراض الخطيرة مثل السرطان ومرض نقص المناعة المكتسب (الإيدز) وبدون أى مضاعفات يشكل حلما للمتخصصين فى العلاجات الطبيعية والبديلة. هذا الحلم يحقق رغبة أكيدة للعاملين فى هذا المجال فى المساعدة من خلال برامجهم العلاجية فى مقاومة انتشار هذه الأمراض، بل والمساعدة فى شفائها، والحد من آثارها السلبية فى تدمير صحة الإنسان. ولن يأتى هذا إلا بالتناغم والانسجام المطلوب بين وسائل العلاج الطبيعى والوسائل الطبية التكنولوجية المستخدمة فى البرامج الطبية الحديثة. ولكن السؤال المطروح الآن: هل تمتلك علوم العلاج الطبيعى والطب البديل الحديثة هذه القدرة المطلوبة على مكافحة هذه الأمراض؟

ببساطة شديدة نجيب على هذا السؤال الهام بجملة شهيرة يعتنقها الكثير من المتخصصين فى مجال العلاج الطبيعى مفادها أن الصحة والعافية المكتملة للإنسان تعتبر أكثر من مجرد شأن طبى بحت، بل توجد الكثيرمن العوامل الهامة الأخرى التى تساهم فى اكتمال صحة الإنسان. وأذكر منها على سبيل الذكر عوامل تلبية الحاجات الأساسية للإنسان، مثل توفير الغذاء الصحى أولا، ومقومات المعيشة الصحية والآمنة والعلاقة الإيجابية لنواحى الإنسان الاجتماعية والنفسية وتفاعله بشكل صحى داخل مجتمعه، كل هذه العوامل تساهم وبصورة كبيرة فى مساعدة الإنسان على التكيف والمواجهة من الناحية العضوية والنفسية، وقدرته على مكافحة معظم الأمراض التى تواجهه، وهذه الحقيقة الغائبة عن أذهان الكثير من الأطباء ليست ضَرْبًا من الخيال، بل إنها حقيقة علمية تم دراستها، وأدرجت نتائجها فى الكثير من الدراسات التى قامت بها جمعيات الطب النفسى بالولايات المتحدة وإنجلترا. فقد أوضحت هذه الدراسات أن الإنسان يمتلك قدرة ذاتية عالية وشديدة القوة، نابعة من رغبة داخلية فى الشفاء ومكافحة الكثير من الأمراض، حتى بدون اللجوء إلى استخدام الأدوية الكيميائية المعتادة ويمكنه فقط أن يستنفر هذه القوه الذاتية إذا كان يملك مستوى عاليا من الاستقرار النفسى والاجتماعى، كما أنه ثبت أيضًا أن وجود عامل الإيمان الدينى بدرجات متفاوتة يقوى الأجهزة الدفاعية للجسم، ويساعد فى تقوية الأجهزة المناعية له، ويجعله أكثر قدرة على مقاومة الكثير من الأمراض التى تنقلها الڤيروسات

والميكروبات، أو فى حالة الأورام السرطانية. ونظرا لاعتراف معظم الأطباء أخيرا ـ والذين يتخذون من مجالات الطب الحديث تخصصا لهم ـ بهذه الحقائق واقتناعهم بأن الأساس فى علاج المرض ليس فى علاج العَرَض المرضى فقط، ولكن النجاح فى علاج الإنسان ككل وإعطاء قدر أكبر من الاهتمام الكافى بجميع جوانب المرضى العضوية والنفسية والاجتماعية فى الوقت ذاته.

إن الاهتمام الطبى الحديث بالجسم والنفس معا، وإعطاء الوسائل الطبيعية دورها المستحق للتأثير الإيجابى عليهما معا أصبح هو العنصر الأساسى للكثير من المناهج العلاجية الحديثة، والتى اهتمت بتنمية النواحى النفسية والجسمانية والاجتماعية فى نفس الوقت الذى يتم فيه علاج المريض، حتى إن هذه المناهج لجأت إلى خلق أسلوب طريف فى العلاج ولكنه ناجح جدا وهو عمل مجموعات مناقشة لجماعات مختارة من المرضى توجد روابط إيجابية بينهم، وجلوسهم مع أطبائهم وذويهم وجها لوجه، وسماع شكواهم، ومحاولة التعايش مع آثار مشاكلهم الصحية وتشجيعهم على الاستمرار والانتظام فى برامج العلاج المقدمة لهم بجميع أنواعها، وتقييم النجاح الذى يحققه هذا الأسلوب العلاجى لهم، وتطويره إذا تطلب ذلك، كما أن إشراك الأخصائيين الاجتماعيين والأطباء النفسيين فى هذه المجموعات أضاف بعدا اجتماعيّا مهمّا للعملية العلاجية الطبية. إن تطبيق هذا الاتجاه الحديث نجح فى إزالة الكثير من المعوقات التى كانت تواجه الأطباء فى الماضى، بل وإضافة أبعاد جديدة للمنظومة العلاجية تجعلها أعمق تأثيرا فى شفاء الانسان.

إن المحاولات الدءوب، من جانب الكثير من المتخصصين فى علوم العلاج الطبيعى خلال العشرين عاما الماضية للتناغم والانسجام داخل منظومة العلاج الطبى الحديث، والتطوير العلمى المستمر لبرامجهم العلاجية قد بدأ يؤتى ثماره بما يعود بالنفع على المريض فى المقام الأول.

لقد سجلت الهيئات الطبية الدولية ارتفاع معدلات الشفاء للكثير من الأمراض التى كانت تقاوم الأساليب التقليدية فى العلاج، مثل آلام المفاصل المزمنة، وآلام الظهر الشديدة، والتى لم يكن العلاج الدوائى كافيا لشفائها، كما أن الكثير من مرضى الشلل

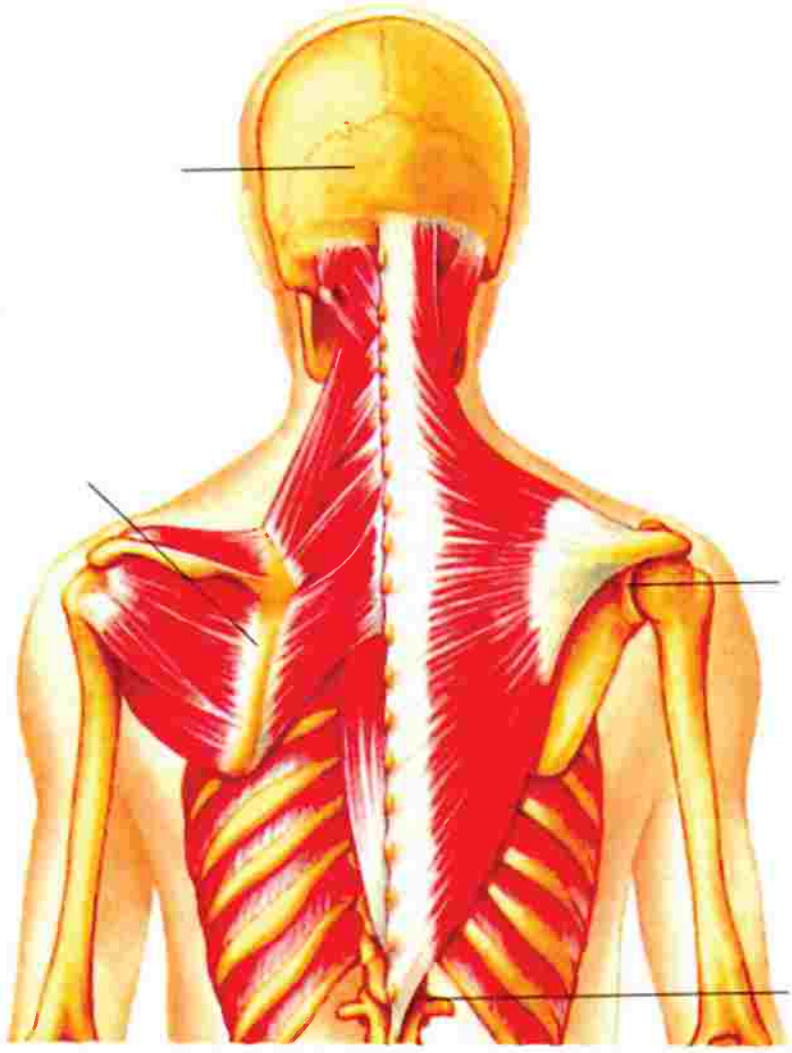

يكون التدليك الطبيعى اليدوى مؤثرًا فى حالات التهابات العضلات الظهرية

النصفى، والتهاب الأعصاب الطَرْفية، والضعف العضلى الشديد أصبحوا قادرين على الحركة بصورة طبيعية، والعودة الى حياتهم المعتادة، وذلك عن طريق انتظامهم فى جلسات مستمرة للعلاج الطبيعى والتأهيل الطبى مما يشكل نجاحًا باهرًا لبرامج العلاج الطبى المشتركة الحديثة والطبيعية فى مواجهة الكثير من المشاكل المرضية المزمنة.

لقد أعطت هذه النجاحات دفعة هائلة خلال خمس السنوات الماضية وبالتحديد عام ٢٠٠٠ ـ لاستنفار جميع الطاقات البحثية، وعقد المؤتمرات العلمية المشتركة مع الكثير من التخصصات الطبية المختلفة، وتحت إشراف الجامعات والمعاهد العلمية المتخصصة من مختلف أنحاء العالم لتطوير مناهج البحث والتطبيق لهذه العلوم، وإدراج برامجها الحديثة من خلال مناهج طبية مطورة، مما يبشر بحدوث تغيرات إيجابية فى المجال الطبى، وأسس ومناهج العلاج المتبعة فى السنوات العشر القادمة، ومما يجعل برامج العلاج فى المستقبل أكثر قدرة ومرونة على مواجهه التحديات الرهيبة التى يواجهها الإنسان فى العصر الحديث من أمراض خطيرة كالسرطان، ومرض نقص المناعة (الإيدز) والأوبئة الشديدة الخطورة السريعة الانتشار القديم منها مثل (شلل الأطفال)، والحديث منها مثل (أنفلونزا الطيور).

إن أمامنا فرصة ذهبية فى الوقت الحالى للاستفادة من فوائد العلاج الطبيعى والطب البديل وتقنين وتطوير علاجاته وإضافتها إلى قائمة العلاج الطبى الحديث بغرض إثراء العملية العلاجية ووسائلها، وإعطاء المريض قدرا أكبر من المرونة فى الاختيار الأمثل لمساعدته على مواجهة الكثير من الأمراض التى ثبت شفاؤها بالاستخدام المطور والمزدوج لوسائل الطب الحديث والعلاج الطبيعى، والتى تصب فى نهاية الأمر لمصلحة المريض، وسوف نستعرض معا فى فصلنا العاشر والأخير قائمة مفصلة بأسماء الأمراض، وأنواع وسائل العلاج الطبيعى والطب البديل الفعالة والآمنة التى يمكن أن تساعد فى شفائها، وبالطبع تحت الإشراف الطبى التخصصى المشترك القائم بين الطبيب المعالج واستشارى العلاج الطبيعى والطب البديل.

والغرض من شرح هذا الجزء هو إعطاء القارئ فرصة لمعرفة الجديد فى هذا المجال، ومساعدته على فهم البرنامج الطبى الحديث، مما يساهم فى تحديث مفهوم ومعنى العلاج الطبيعى فى أذهاننا.

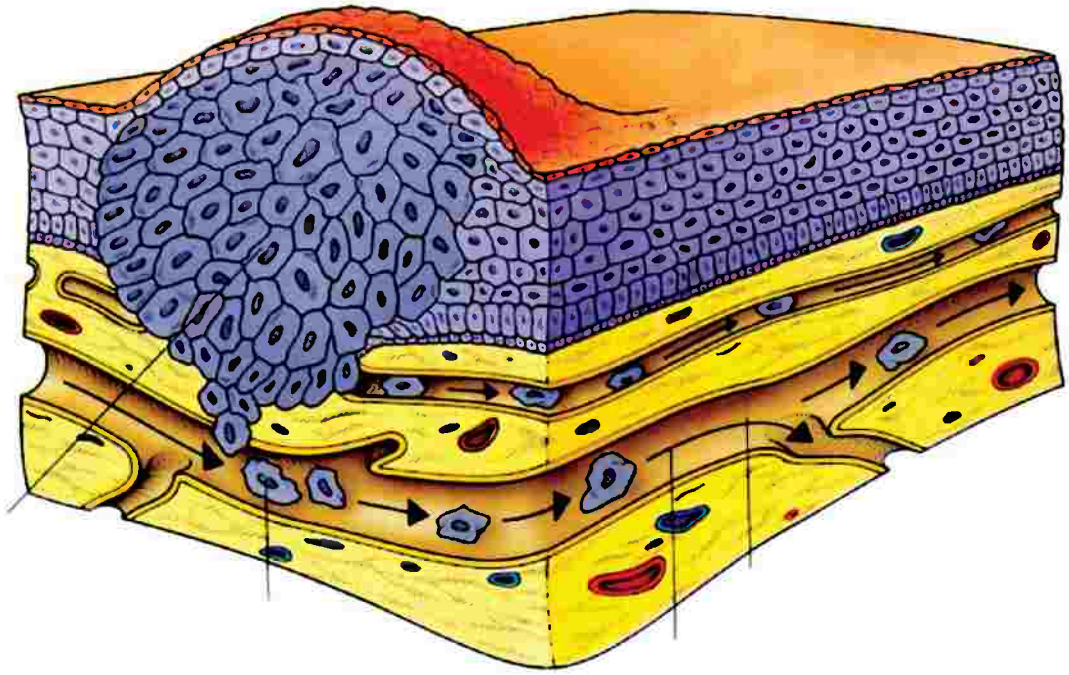

للعلاج الطبيعى تأثيرات إيجابية كثيرة على وقف تطور وانتشار الأورام بالجسم
(صورة لخلايا ورم تحت الجلد فى مرحلة الانتشار)